CC BY



# بلاغة الإقناع في الخطاب الكنائي

## ـ خطبة الإمام علي(عليه السّلام) في صفّين أنموذجًا ـ

آزاد حسّان حيدر *

تأريخ التقديم: 2019/12/4 تأريخ القبول: 2020/1/13

**المستخلص:**

**بوصف البلاغة عملية إيصال فى الكلام الحسن الفعال ، فهى تعنى بالوسائل التى تروم التواصل مع المتلقين على أكمل وجه فتقترن بالضرورة الإبلاغية بصفتى : الإقناع والإمتاع ، ليشكلان معاً مستوى من التضايف الصّورى فى مضمار الخطاب البلاغى وأسهمت فى :**

**ـالإفادة البلاغية المنتجة من المعانى العقلية بوصفها معانى مقنعة ، تكمن فعاليتها فى مدى تأثيرها بحجج فكرية مثيرة للانفعالات النّفسية فى دائرة التواصل الكلامى ؛ ليؤول هذا التواصل الى وظيفة اقناعية للخطاب البلاغى الذى يأخذ أشكالا عدّة فى تقنية الإجراء البلاغى منها ناتج عن :علاقات بأقيسة بيانية من تشبيه ومجاز وكناية أوعلاقات ذهنية فى توافق أو تضاد وغيرها .**

**ـتبلور المعانى الحجاجية (الإقناعية) الحاصلة من إعمال العقل وصولاً الى المعنى الكنائى الذى هو تحصيل ذهنى من عملية انتقال بعلاقة المجاورة الى المعنى المكنّى عنه ، وبالنتيجة تعدّ عملية خاضعة لمبدأ الاستدلال والتعليل فى إنتاج المعانى الذهنية ، ولا يقتصر إنتاج صور الكناية فى الإفادة على عملية عقلية محضة بل تتوسل المتعة الفنية بخاصيتى : الخفاء والغموض ، مما يزيد على أطراف المعانى ظلالاً ؛ فيمتد الخيال لإدراك إيحاءات الكلام ومقصوده .**

**ـصياغة العبارات فى مضمار خطبة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ مكتنزة بصور كنائية وأساليب متنوعة وفريدة ، استغرقت كل المعانى المتوخاة لفكرة القتال والحرب حاشدا لها : صوراً كنائية بمستلزمات الحرب وأدواتها القتالية ، وصوراً كنائية أحاطت بمعطيات الحرب وتداعياتها ، مسخراً لها طاقة تعبيرية فذة تضايفت مع وسائل بيانية من التشبيه والاستعارة ، فضلاً عن توظيف إيقاعى من صور التّضاد والتكرار توافقت مع حركة المعانى الكامنة فى النفس التى يروم الإمام إيصالها ، فتساوقت جميعها مع**

* أستاذ مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل .

**اعتبارات : عقدية دينية وعرفية اجتماعية ، حققت الغاية المرجوة من الخطبة في التأثير وقبول الفكرة والاستجابة المناسبة للحدث .**

**الكلمات المفتاحية : تشبيه؛ استعارة؛ صورة**

**التأثير بالخطاب الإقناعي :**

**البلاغة وصف للكلام بشكل يكون فيه نوع من الفرادة وفضل مزية لا تقتصر على (( أن تتوخى الألفاظ من حيث هي ألفاظا ترتيبا ونظما وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتُعمل الفكر ))[1]، والغاية المثلى من المزية في نظم الكلام هي بقدرته على التأثير المعمق في المتلقي ، فالبلاغة بهذا الإنجاز في التحقق الكلامي تعد فناً للخطاب الفعال المؤثر ليست مقتصرة على عبارات منمقة ومزينة للألفاظ فحسب؛ بل في خاصية لغوية تنجز دافعية حقيقية للفعل الإنساني بمستويات عدّة : أخلاقية وثقافية واجتماعية وغيرها، أما مظهر الدافعية للفعل المنجز تحققه القدرة الإبلاغية في النّص البلاغي التي تدفع المتلقي الاستجابة من خلال تفاعله ومشاركته بحيوية في انتاج المعنى[2]، يتجاوز بها مسألة التأثير على سبيل الإفهام في الإقناع الى قصد آخر يتمثل في القدرة على إيصال تجربة شعورية نفسية مهمتها الإمتاع بإثارة الانفعال المناسب .**

**لقد تبلور مفهوم الإقناع في البلاغة العربية من فكرة تناولها أهل البلاغة مفادها : حسن اختيار الكلام وحسن النّظام والترتيب للإحاطة بالمعنى المقصود[3]، وهو أمر له اعتباره المعرفي ، فالإحاطة بالمعاني تحتاج الى إعمال العقل بالتماس حجة يتحقق**

---

**(1) ينظر: دلائل الإعجاز، الشيخ عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د.ط ، د.ت : 54 .**

**(2) ينظر: الفلسفة والبلاغة ــ مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ــ ، د.عمارة ناصر، منشورات الإختلاف ، الجزائر ، الطبعة الاولى ، 2009 : 17.**

**(3) ينظر: نقد النثر، جعفر بن قدامة ، نقد النثر ــ كتاب البيان ــ ، قدامة بن جعفر البغدادي ، تحقيق عبد الحميد العبادي ، دار الكتب العلمية ، د.ط ، د.ت : 134 .**

بها الإقناع بالذهن*، فالحجة في حقيقتها لا تفيد من حيث هي أصوات مسموعة بل المفيد هو المعاني العقلية الحاصلة في الذهن [1].

والبلاغة من وجهة أخرى تُعنى بالكلام الفعّال الذي يؤثر في المتلقي تأثيراً عملياً وشعورياً ، مما عدّها وسيلة تواصل مع المتلقين تصل بهم إلى حدّ الإقناع فضلا عن ما يقترن معها من الإفادة في صفة الإمتاع ، ولا يقتصر التأثير بالإمتاع بعنصر الخيال والتخييل الذي يحدث الاستلذاذ والغرابة والدهشة ؛ بل ثمة عنصر آخر يستجلب معه شعورا بالمتعة الفنية متمثلا بالإيقاع الذي ينتج عن حركة المعاني الكامنة في النّفس المتفاعلة مع الشّكل التعبيري ؛ لينتج تناسباً محكماً بين المسموعات والمفهومات ، فتكسبها نمواً حياً بفضل التناغم لحركة الإيقاع وما ينجم عنه من إيحاء بالصّور[2].

إنّ هذا الاقتران في الإفادة بالإقناع والإمتاع يدلل بوضوح على شكل المضايفة في إنتاج المعاني البلاغية في خطاب الشّعر والنثر، فالنثر مدار حججه في المعاني الخطابية التي يغلب على أسلوبها البلاغي : الإقناع ، والشعر يغلب على معانيه الشعرية في الأسلوب البلاغي : الإمتاع ، وهذا التفاوت لا يعني أن المعاني المقنعة فكرياً غير ممتعة أو المعاني الممتعة غير مقنعة ؛ لأنّ الإفادة في المعاني

---

* الذهن يعدّ قوة للنفس تشمل الحواس الظاهرة والباطنة المتخيلة معدة لاكتساب العلوم . ينظر: التعريفات ، الشيخ علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار فضيلة، القاهرة : 64 . يمتلك الانسان امكانات عقلية ونفسية تنظم أفعاله ولاسيما فعل الكلام بربط معطيات: قوى الإدراك الحسّي مع قوى الإدراك الباطني (المخيلة) متمثلة بوظائف ذهنية من : ذاكرة وخيال وتخييل ووهم فضلا عن قوة المفكرة ، وعند تسخير هذه القوى الحسية والباطنية يتكامل الدور المعرفي في تفعيل دائرة الايصال والاتصال بين المتكلم والسامع . ينظر : النقد المعرفي في الدرس البلاغي ، د.آزاد حسان حيدر، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، أربد،الأردن ،2013 : 76.

(1) ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، الإمام فخر الدين الرازي ، تحقيق د. نصر الله حاجي مفتي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، 2004 : 189.

(2) ينظر: الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي، د.ابتسام احمد حمدان ،دار القلم العربي، سوريا ،الطبعة الأولى ،1997 :140ـ143

البلاغية لا تتحدد بالتأثير النفسي دون الفكر أو العكس ، فضلاً عن أنّ الإفادة المناسبة تكمن بالحجج الفكرية المثيرة للانفعالات النّفسية في دائرة التواصل الكلامي لتحقق غاية الإفهام قي التبليغ والقبول الحسن ، كما جاء في وصف البلاغة: ((من أنها كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه مع صورة مقبولة ومعرض حسن)) [1]، ومن هذا المنطلق المفاهيمي للبلاغة يمكن أن نقارب بينها وبين وظيفة الخطاب بوصفه عملية تلفظ تخص الفرد المتكلم القصد منه إيصال رسالة إلى طرف الآخر المتلقي والتأثير فيه ، وكل عملية تواصلية تحتاج إلى مستمع يوظف كل آلياته الذهنية للإدراك والفهم فضلاً عن استيعاب ما تتضمنه من دلالات[2]، بهذا الوصف يعدّ الخطاب بلاغة إنجازيه وتأثيرية في وقت واحد فلا يتحقق بالإكراه المنطقي بصوره المتعددة إو الفعل التجريبي ، وإنما يتحقق الإقناع بقوة الحجة والدليل التي تبعث على استنهاض السامع واستمالته من وجهتين: العقلاني أو الوجداني أو بهما معا[3].

وبهذا الشكل يكون ارتباط البلاغة بوظيفة الإقناع تقنية للخطاب البلاغي . وتقبّل الكلام والاقتناع به في مضمار الخطاب مرهون بنجاح عملية التواصل البلاغي من خلال تفاعل عناصر ثلاثة :القائل ( الخطيب) إذا كان كلامه الذي يلقى خليقا بالثقة المترشحة عن خبرة مكتسبة وقدرة على التفكير المنطقي فضلاً عن فهم للخلق الإنساني وتوجهات النفس من انفعلات وتأثرات ، وحال السامع (المتلقي)واستعداده الفكري والنّفسي للتأثير فيه ايجابا أو سلبا ، والكلام نفسه (النّص) وما يحمل من قوة

(1) الصّناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أأبو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، 1952: 13 .

(2) ينظر: دلائل الإعجاز، الشيخ عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د.ط ، د.ت : 5 ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب – بحوث محكمة– ، (من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في أشكال التحول والتطور) ، د. حمو الحاج ذهنية ، كنوز المعرفة ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2014 : 162 .4 .

(3) ينظر : الفلسفة والبلاغة ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2009 : 29.

القول وآليات لفظية في إثبات حقيقة ما أو شبه حقيقة متوسلاً لذلك حججاً مقنعة مناسبة للغرض المقصود[1].

الصّور الحجاجية في الإقناع تتمثل أشكالاً عدّة منها : القياس المنطقي او الاحتمالي الذي يقوم على إظهار العلاقات والتبريرات التي تقدم على شكل أفكار معينة ، أو قياس على مستوى التعارض والتضاد في المفاهيم[2]، وقد تصل صور الحجاج الى أساليب من : التمثيل المناسب أو التعليل المفسّر أو الاحتجاج بالنّظر والتأمل الدقيق أو الخبر الأكيد فضلاً عن أقيسة بصور بيانية من: تشبيه واستعارة ومجاز المرسل التي يكون عمادها في إنتاج الصور قائماً على الملازمات بين المعاني – اللّوازم الذّهنية – أو صور بيانية ناتجة عن علاقة المجاورة الذهنية في المعنى الرديف للشيء في الوجود كما في الكناية[3].

الإقناع الكنائي :

تتشكل حجاجية الكناية من مفهومها البلاغي ، كما أشار الشيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله (( إن الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه )) [4]، ولا يقصد مقولة (إثبات المعنى) زيادة في مفاهيم المعنى بل زيادة في معنى إثباته ؛ ليكون أبلغ وآكد وأشدّ في الإفهام والقبول ؛ وتدفع بالمتلقي ان لا يشك بقبولها ولا يظن بالمخبرــ المتكلم ــ التّجوز والغلط[5] إنّ فكرة ادراك الشيء الملزوم بادراك لازمه في الوجود هي عملية انتقال ذهني بين المعاني

(1) ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي ــ الخطابة في القرن الأول نموذجا – ، د. محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 2002 : 25 .

(2) ينظر: المصدر نفسه : 82 ، 90.

(3) ينظر: النقد المعرفي في الدرس البلاغي– نسقية البيان– ، د. آزاد حسان حيدر،عالم الكتب الحديثة ،أربد ، الأردن ، 2011 : 66–67 .

(4) دلائل الاعجاز، الشيخ عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة مدني، د.ط ، د.ت : 66

(5)ينظر: المصدر نفسه : 71 .

الظاهرة وصولا للمعنى المخفي – الكنائي– ، وخاضعة لمبدأ الإستدلال في انتاج المعاني العقلية بالإنتقال من أثر الشيء الى المؤثر ، فقولهم ( كثير الرّماد) يكون ظاهر اللفظ أثرا أُستدل به على المؤثر والسّبب ، وهو (الكرم) الذي حرص المتكلم على اخفائه لغرض المدح .

ولا تقتصر وظيفة الكناية في انتاج المعاني العقلية لغرض الإقناع ، بل يصحب ذلك إفادة معنوية يتخللها متعة فنية لا تقل فاعلية في القبول والتأثير ، وهي من طبيعة الأسلوب الكنائي المصور الموحي بطريقة إثارة الحواس والذهن والمخيلة ، وهذا ما يميزه عن التعبير الحقيقي المباشر ، ذلك أن المعنى المخفي ــ المكنى عنه ــ يحمل طاقة إيحائية بصورة الإيجاز ينتج عنه خاصيتين : الخفاء والغموض ،فمن حهة الإيجاز يزيد دلالة بما توحيه أطراف الكلام من ظلال المعاني يشتغل بها الذهن فيمتد بالخيال حتى تبرز وتتسع فتتشعب المعاني التي تحملها العبارة بالتفسير والتأويل[1]، فضلا عن أن خاصيتي الخفاء والغموض الفنيتين منسجمتان مع طبيعة النفس، كما أوضح الجرجاني (( من المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد طلب له أو الاشتياق اليه ومعاناة حنين نحوه ، كان نيله أحلى ، والميزة أولى ، فكان موقعه من النفس أجمل وألطف )) [2] .

إن مثل هذه الصّور المنجزة تفاجيء المتلقي بمعان تحفز استثارته ؛ مكتشفاً من خلالها علائق خفية فيها من الغرابة والدهشة ما تحدث في النّفس شعوراً ؛ فيستجيب لاتخاذ الموقف المناسب [3]، فضلاً عن متعة الإحساس الذي ينجم عن اكتشاف معرفة جديدة يضاف إلى مخزونه المعرفي .

---

(1)ينظر: الكناية في القرآن الكريم ــ موضوعاتها ودلالاتها البلاغية ــ د. أحمد فتحي رمضان الحياني ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، الأردن ، د.ط ، 2013 : 72 ؛ ينظر: دفاع عن البلاغة ، أحمد حسن الزّيات ،عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1967 : 113 .

(2)أسرار البلاغة : 139 .

(3)ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1984 : 159.

**تجليات الخطاب الإقناعي في خطبة الإمام عليه السّلام :**

**هو الإمام علي عليه السّلام كما وُصِف (( خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الامة ، يعرّفهم مواقع الصّواب ويبصرهم مواضع الإرتياب ، ويحذرهم مزالق الإضطراب ، ويرشدهم دقاق السياسة ، ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم الى منصات الرئاسة ))[1].**

**تجلت مراقي الإقناع في خطبة الإمام بواقعة صفين ، بشكلين من صور الكناية عززت فكرة القتال لدى المتلقين : إحداهما : صور لمفاهيم تتعلق بالإستعداد بأدوات القتال ومستلزماتها . وثانيهما : صور لمفاهيم تتعلق بالإستعداد بمعطيات القتال وتداعياتها .**

**قد تصدر مشهد الحرب الدعوة لها بصيغة النداء للتنبيه والاستنفار ، وصورة من المجاز بأسلوب استعاري يدلل على مبالغة في الوصف وجديّة الموقف تهدف الى استمالة المتلقين وتهيئة أذهان السّامعين :**

**(( يا معشر المسلمين استشعروا الخشية ، وتجلببوا السّكينة ، وعضوا عليها بالنواجذ ، فإنه أنبى للسيوف عن الهام ))[2] .**

**إنها محاولة جادة في المضايفة بين فكرة الإقناع بالحرب التي يروم الإمام الدعوة لها وبين صورة من الإمتاع بمعان تخييلية تتوسل التشخيص لصفة الخشية من الله تعالى في هيئة محسوسة في لبس (الشّعار) ، وهو ما يلي البدن من الثياب فضلا عن تشخيص لصفة السّكينة في هيئة محسوسة في لبس الجلباب وهو ما يغطي الجسد من الثياب ، ولكون الخشية من الله تعالى تغشى القلب عبر عنها بالاستشعار ، وعبّر بالتجلبب عن حالة السّكينة لأنها عارضة تظهرعلى بدن الأنسان[3]، ومعلوم أنّ مفهوم الإستعارة شكل من الاستدلالات بالمعاني التخييلية التي تمنح قوة استدلالية**

---

(1) نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبده ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت : 4 .

(2) نهج البلاغة: 114.

(3) المصدر نفسه : 114.

لذهن السّامعين في إدراك معنى الاستعداد والتهيؤ بحذف المشبه به ظاهراً ( الجسد ) وذكر لازمه في شكل الغطاء واللباس الساتر الواقي .

وقد أردف الإمام صورة تخييلية في تشبيه تمثيلي بيّنت أثر الاستعداد والتهيؤ لحسم القتال ، وعززت مشهد الحرب بقوله : (فإنه أنبى للسّيوف عن الهام) ، فحضور الخشية والتحلي بالسّكينة مع الإصرار والعزيمة هي أصلب وأقوى في المقاومة من نبوة السّيف الذي يحزّ رؤوس الرجال ، وهذا العرض في الصورة المخيلة أدعى للقبول والتأثير ، على اعتبار أنّ (( المخيل هو الكلام الذي تذعن له النّفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير رويّة وفكر واختيار)) [1] .

صور الكناية عن مفاهيم الاستعداد المادي : لقد وظف الإمام حزمة من الكنايات تعد الوسيلة الأنسب بل الأنجع في تهيئة أجواء الاستعداد للحرب والمواجهة القتالية ، ولا سيما فيما له علاقة بمستلزمات القتال من آلالات وأدوات فضلا عن الضّبط العسكري الذي يحقق صفات لائقة في المقاتل أوضحتها صور الكناية :

- أكملوا اللآمة * : كناية عن صفة الاستعداد المناسب لشدّة المواجهة وقوة اللقاء .
- قلقلوا * السّيوف في أغمادها قبل سلّها : كناية عن صفة التهيؤ والتّحفز وسرعة الحركة.
- الحظوا الخزر* : كناية عن صفة الغضب والحذر وشدة الملاحظة .
- اطعنوا الشّزر*: كناية عن صفة القوة ودقة الطعن واتساعه .

---

(1) كتاب الشفا ــ المنطق ــ الشعرــ ، الشيخ الرئيس ابن سينا ، تحقيق أحمد فؤاد الإهواني ، المطبعة الاميرية ، القاهرة الطبعة الثانية ، 1958 : 24 .

* اللّامة : اللأمة هي الدّرع الحصينة في إحكامها وجودة حلقاتها ، وما يستكمل من البيضة والسواعد ونحوها . ينظر: لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف ، تحقيق غبد الله علي الكبير وآخرون ، د.ط ، د.ت : مادة (لأم) : 3977 .

* قلقلوا : قلقل الشيء قلقلة أي حركه ليصدر صوتا شديدا .ينظر: لسان العرب ،ابن منظور، مادة (قلل) : 3728.

* الخزر: هيئة في النظر تدفع بحدقتي العين الى الأنف، وضيق الجفن ليحدد النظر . ينظر: المصدر نفسه ، مادة (خزر) : 1148

- نافحوا بالظّبا * : كناية عن صفة العزيمة والشّدة قي القتال .
- وصلوا السّيوف بالخُطا : كناية عن صفة الإقدام والجرأة .

وقد تلاءمت صور الكناية في المعاني العقلية مع توالف الإيقاع الصوتي السّجعي في صياغة العبارات للإفادة المعنوية ؛ لتعزيز الاستجابة وتقبل فكرة الحرب والقتال : ( أكملوا ، قلقلوا ، الحظوا ، اطعنوا ، نافحوا ، وصلوا ) / ( الخزر ، الشّزر) / ( الظبا ، الخطا ) .

وهو توظيف فني صوتي يستجلب معه شعورا بمتعة تأثيرية أنتجه الإيقاع الذي توافقت فيه حركة المعاني الكامنة في النّفس المتفاعلة مع الحركة التعبيرية ، إذ شكلت تناسباً متناغماً بين المسموعات والمفهومات شكلته تآلف الكلمات وانسجامها وتلاؤمها بعلاقات من تكرار الصوت والمقابلة والتناظر في المعاني .

أما صور الكناية عن مفاهيم الاستعداد لمعطيات القتال : تصدرتها صورة مجازية عقدية مكثفة الأبعاد في مدارج الغيب أفادت الصدق واليقين ، وأوضحت فكرة القتال بسياق البذل والمنافحة بجهاد الدّفع :

( واعلموا أنكم بعين الله ومع ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ) .

فتساوقت صورة المجاز مع فكرة عقدية بمفهوم النّبوة والرّسولية لتشكل حججاً قياسية خطابية ، تستمد قوتها الإقناعية بطرائق من البرهنة نابعة من عملية الاستقراء المعلوم والمسلم به يقيينا عند المتلقين، أفادت أحقية العول عليها في قبول الفكرة المساقة ، وتحقيق الفاعلية الإقناعية لدى المخاطب[1].

---

* الشّزر : الغلظة وشدة البطش ،ورجل مشازر محارب مخاشن .ينظر: المصدر نفسه ، مادة (شزر) : 2234 . والشّزر بالفتح : الطعن في الجوانب يمينا وشمالا . ينظر: نهج البلاغة : 114 .

* النّفح : النفح هو الذّب والدّفع ،وطعنة نفوح تدفع دمها بشدّة . ينظر: لسان العرب ، مادة (نفح):4464 .والظُّبا : بالضم حدّ السيف والسّنان والنصل والخنجر .ينظر: المصدر نفسه ،مادة (ظبا) :2743 .

(1) ينظر: آليات الحجاج في خطبة النبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع ، د.هاني علي سعيد ،حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، حولية السّادسة والثلاثون ، جمهورية مصر العربية : 2015 : 35.

تضمنت العبارتان على مقدمتين قياسيتين مضمرتين مسلمتين في ذهن المتلقين تمثلت بمقولتين مستلزمتين للإيمان : عين الله تعالى ، ورسول الله (ﷺ) ، أكدت صدق الدّعوى ويقينيّتها :

مقدمة رئيسة (كبرى) : عين الله تعالى حق ـــــ محمد (ﷺ) الرسول مؤيد بالنبوة .

مقدمة ثانوية (صغرى) : أنتم في عين الله تعالى ـــــ أنا من نسب الرّسول المؤيد .

النتيجة : أنتم في حفظ الله تعالى ورعايته ـــــ أنا المؤيد .

إنّ الدفع بالحجج البرهانية اليقينية تعدّ أعلى درجات الإحتجاج العقلي , على اعتبار مفاده : أنّ البرهان هو (( قياس مؤلف من اليقينيات ))[1]، .فهذا الشّكل من البرهان يتجاوز فكرة الإقناع العقلي المجرد إلى ترسيخ وتمكين المعنى المقصود ، ولا سيما أنّ الدعوى متعلقة بالحرب والقتال ومن متطلباتها الدفع بما تجود به النفس بأغلى ماتملك : الروح والجسد ، وما يتبع ذلك من ترك للمال والأهل والولد . وأردف الإمام بعد الدفع بحجج يقينية برهانية بحزمة من الصياغات الكنائية مثلت المستلزمات الواقعية لخوض الحرب والتهيؤ لتقبل تداعياتها على أرض المعركة المرتقبة :

( فعاودوا الكرّة ، واستحيوا الفرّ ، فإنه عار على الأعقاب ، ونار يوم الحساب ).

عاودوا الكرّة : كناية عن حالة الإقدام ، واستحيوا الفرّ : كناية عن حالة الانهزام .

وعزز المعنى الكنائي بدلالات عقلية تعليلية تعمق فكرة الإقناع في الدفع للقتال والمواجهة :أولها: بدلالة ضديّة في بيان هيئة الإقدام والإحجام : (عاودوا/استحيوا)، (الكرّة/الفرّ ) .

ثانيها: بدلالة عرفية ودينية مكثفة في الرّدع والزّجر: (فإنه عار على الأعقاب ، ونار يوم الحساب).

---

(1) التعريفات ، العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني ، تحقيق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ط ، د.ت : 40 .

ـــــ وامشوا الى الموت مشيا سُجُحا* : كناية عن صفة الثبات في الإقدام ، إذ تضافرت دلالة المعنى الكنائي مع دلالة صيغة التكرار في هيئة (وامشوا / مشيا) مع صورة من الاستعارة التمثيلية دلّت على حتمية القتال وخوض تداعياته بهيئة من يمشي بكل ثقة وإصرار واعتدال الى الموت من غير ميلان وتحرف ، وهي صورة تشخيصية مثلت السّعي والمشي الحثيث للقتال . ثمّ يتحول مشهد الخطاب الى صور كنائية تدلل على موصوفين يراد حثّهم على الإقدام في المواجهة المرتقبة ، وهي انتقالة ذهنية من كنايات كشفت صفات الأشياء وإظهارها الى بيان هيئة الموصوفين وهم الطّرف الآخر من دائرة الحرب والقتال : وعليكم بالسّواد الأعظم ، والرّواق المُطنب .

والسّواد الأعظم :هم جمهور أهل الشام الذين كانوا في الطّرف الآخر، والرّواق المُطنب* : هو رواق معاوية[1] ، والمراد منه رأس السلطة ومحل الحكم .

ـــــ فاضربوا ثبجَـــه* ، فان الشّيطان كامن في كسره ، قد قدّم للوثبة يداً وأخّر للنكوص رجلا فصمدا صمدا .

المقصود ضرب قلب العدو مركز استحكاماته ومصدر أوامره .في الحركة والمناورة وقد اقترن هذا المشهد من الخطاب الكنائي اقترنت بعلة تفسيرية مستندة الى حقيقة قرآنية تمثل هيئة (الشيطان) : وفيه تضايف صوري عجيب بين حجة تخيلية استعارية وحجج عقلية شكلت توليفة بلاغية ما بين مجاز وكناية وبديع ، إذ

---

* مشية سُجُح : اي مشية سهلة فيها الاعتدال وعدم التمايل. ينظر: لسان العرب ،مادة (سجح) : 1939.

* الرّواق : مقدمة البيت من أعلاه الى الأرض ، وكذلك موضع الجلوس فيه . ينظر: لسان العرب، مادة (روق) : 1780.

الطُنب : وتد يُشدّ به البيت . ينظر: لسان العرب، مادة( طنب) : 2708 . ورواق مُطنب : مشدود الأطناب ، أي قوي الأركان .

(1) ينظر: نهج البلاغة :115.

* ثبج كلّ شيء : معظمه ووسطه وأعلاه ، والجمع أثباج وثبوج . والمقصود هو وسط العدو ومركز تحكمه وقيادته . ينظر: لسان العرب ، مادة (لأم) : 468 .

حققت الغاية الكبرى في الإقناع والتأثير ، فاستعار صورتين من التمثيل : هيئة الشيطان منكسرا للدلالة على الخذلان والخسران ، وهيئة المتخبط المتحير الذي يقدم تارة ويحجم تارة أخرى . وهذا النمط من الاستعارة التمثيلية يعد قياسا فنياً ومعادلاً موضوعياً موازياً للحال والهيئة التي يراد الاحتجاج بها أو عليها[1]، فكيف اذا كان التوسل باستعارة محورها في اقامة الحجة والدليل فكرة عقدية دينية استند اليها الإمام علي :(( فقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفا )) [2] .

وتضمن شكل التمثيل صورة كنائية في صفتي : الإقدام / والانهزام ، وتوظيف فني من لون آخر تمثلت في تكثيف شكل التضاد :( قدّم / أخر ، الوثبة / النكوص ) . فضلا عن الإيقاع بالتكرار : صمداً صمداً ، لتتوالف هذه المعطيات من الإيقاع التمثيلي والتّضادي والصّوتي في انتاج المعاني المتوخاة ، وبيّنت الحال الذي سيؤول اليه القتال . ليُختتم مشهد الخطبة بمحاجّة فنّية مكللة بنص قرآني يعدّ أعلى مراتب الحجاج الخطابي بوصفه كلاماً معجزاً :

حتى يتجلى لكم عمود الحقّ (( وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم )) [3] .

فــ(الحقّ) الذي يقصده الإمام إثباته والقتال دونه واضح بالحجج والبراهين التي ساقها ، مشخصا بصورة حسيّة متخيلة في هيئة عمود متجلّ واضح لا يحاد عنه ، وإنّ (الحق) الذي ينافح عنه ويبذل فيه سيفضي إلى منازل العليّين بمعية الله تعالى ، فيسدد أعمالكم بالتوفيق والنّجاح ، ولا يتركم أعمالكم بنقصان أجوركم[4]، وهي الغاية الكبرى من إحقاق الحق الذي يروم الإمام علي بلوغها .

---

(1) ينظر: الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي،(أطروحة دكتوراه) ، الباحث ناصر بن دخيل ،إشراف محمد إبراهيم شادي ،كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ،1426هـ :101 .

(2) سورة النّساء ، الآية : 76.

(3) سورة محمّد ، الآية : 35 .

(4) ينظر : تفسير التحرير والتنوير ، الإمام الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، (م.ط) ، 1984 :129/26.

**نتائج البحث :**

**بوصف البلاغة عملية إيصال في الكلام الحسن الفعال ، فهي تعنى بالوسائل التي تروم التواصل مع المتلقين على أكمل وجه فتقترن بالضرورة الإبلاغية بصفتي : الإقناع والإمتاع ، ليشكلان معاً مستوى من التضايف الصّوري في مضمار الخطاب البلاغي وأسهمت في :**

**-الإفادة البلاغية المنتجة من المعاني العقلية بوصفها معاني مقنعة ، تكمن فعاليتها في مدى تأثيرها بحجج فكرية مثيرة للانفعالات النّفسية في دائرة التواصل الكلامي ؛ ليؤول هذا التواصل الى وظيفة اقناعية للخطاب البلاغي الذي يأخذ أشكالا عدّة في تقنية الإجراء البلاغي منها ناتج عن :علاقات بأقيسة بيانية من تشبيه ومجاز وكناية أوعلاقات ذهنية في توافق أو تضاد وغيرها .**

**-تبلور المعاني الحجاجية (الإقناعية) الحاصلة من إعمال العقل وصولاً الى المعنى الكنائي الذي هو تحصيل ذهني من عملية انتقال بعلاقة المجاورة الى المعنى المكنّى عنه ، وبالنتيجة تعدّ عملية خاضعة لمبدأ الاستدلال والتعليل في إنتاج المعاني الذهنية ، ولا يقتصر إنتاج صور الكناية في الإفادة على عملية عقلية محضة بل تتوسل المتعة الفنية بخاصيتي : الخفاء والغموض ، مما يزيد على أطراف المعاني ظلالاً ؛ فيمتد الخيال لإدراك إيحاءات الكلام ومقصوده .**

**-صياغة العبارات في مضمار خطبة الإمام علي ــ كرم الله وجهه ــ مكتنزة بصور كنائية وأساليب متنوعة وفريدة ، استغرقت كل المعاني المتوخاة لفكرة القتال والحرب حاشدا لها : صوراً كنائية بمستلزمات الحرب وأدواتها القتالية ، وصوراً كنائية أحاطت بمعطيات الحرب وتداعياتها ، مسخراً لها طاقة تعبيرية فذة تضايفت مع وسائل بيانية من التشبيه والاستعارة ، فضلاً عن توظيف إيقاعي من صور التّضاد والتكرار توافقت مع حركة المعاني الكامنة في النفس التي يروم الإمام إيصالها ، فتساوقت جميعها مع اعتبارات : عقدية دينية وعرفية اجتماعية ، حققت الغاية المرجوة من الخطبة في التأثير وقبول الفكرة والاستجابة المناسبة للحدث .**

## References


1. Abu Hilal Al-Askari (1952) 1st ed. **Al-Sanna'tain.** Edited by Ali Muhammed Al-Bajawi and Muhammed Abu Al-Fadhl Ibraheem. Dar Ihia' Al-Kutub Al-Arabia.
2. Ahmad Fathi Ramadhan Al-Hayani (2013). **Kinship in the Glorious Qur'an – its Topics and Eloquent Indications.** Jordan: Dar Ghaiyda' for Publishing and Distribution.
3. Ahmad Hasan Al-Zayyat (1967) 2nd ed. **Difa' 'an Al-Balagha.** Cairo: Alam Al-Kotob.
4. Al-Imam Al-Taher Bin Ashour (1984). **Tafseer Al-Tahreer wa Al-Tanweer.** Al-Dar Al-Tunisiya for Publishing.
5. Al-Shaikh Abdulqahir Al-Jerjani. **Dala'il Al-I'jaz.** Edited by Mahmood Muhammed Shakir. Cairo: Al-Madani Publishing.
6. Al-Shaikh Ali Bin Muhammed Al-Shareef Al-Jirjani. **Al-Ta'rifat.** Edited by Muhammed Siddeeq Al-Mnshawi. Cairo: Dar Al-Fadheela.
7. Azad Hassan Haidar (2011). **Gnostic Criticism in the Eloquent Study – Statement Ordain**. Irbid. Jordan: Alam Al-Kotob Al-Hadeeth.
8. Azad Hassan Haidar (2013) 1st ed. **Gnostic Criticism in the Eloquent Study.** Irbid. Jordan: Alam Al-Kotob Al-Hadeeth.
9. Fakhr Al-Dein Al-Razi (2004) 1st ed. **The End of Brief in the Marvelous Knowing.** Edited by Nasr Allh Haji Miftu. Beirut: Dar Sadir.
10. Hamo Al-Haj Thuhaina (2014) 1st ed. **Pragmatics and Discourse Analysis – Coherent Study – (From Linguistics to Pragmalinguistics in Transformation and Evolution Forms).** Jordan: Kunouz Al-Ma'rifa.
11. Hani Ali Sa'eed (2015). **Al-Hajjaj Prodijy in The Prophit Declamations in Hijjat Al-Wada'.** Egypt: Arts and Sociology Periodicals, Vol. 36.

12. Ibn Mandhour. **Lisan Al-Arab.** Edited by Abdullah Ali Al-Kabeer and others. Dar Al-Ma'arif.
13. Ibn Seena. **Kitab Al-Shafa – Logic – Poetry.** Edited by Ahmad Fu'ad Al-Ihwany (1958) 2nd ed. Al-Ameeriya Publishing.
14. Ibtisam Ahmad Hamdan (1997) 1st ed. **Al-Usus Al-Jamaliya Lil-Iqa' Al-Balaghi.** Syria: Dar Al-Qalam Al-Arabi.
15. Majeed Abdulhameed Naji (1984) 1st ed. **Al-Isus Al-Nafsiya Li-Asaleeb Al-Balagha Al-Arabia.** University Institute for Studies, Publishing and Distribution. Beirut: Lebanon.
16. Muhammed Abda. **Nahj Al-Balagha.** Lebanon. Beirut: Dar Al-Ma'rifa for Publishing and Distribution.
17. Muhammed Al-Emari (2002) 2nd ed. **In Eloquence of Persuasive Discourse – Declamation in the First Sentry as a Model.** Beirut: East Africa.
18. Nasir Bin Dakheel (1426 H). **Al-Ihtijaj Al-Aqli wa Al-Ma'na Al-Balaghi.** (Doctoral Thesis). Supervised by Muhammed Ibraheem Shadi. Om Al-Qura University: College of Arabic Language.
19. Qudama Bin Ja'far. **Prose Criticism – Al-Bayan Book.** Dar Al-Kotob Al-Ilmiya.
20. Surat Al-Nisa': verse (76).
21. Surat Muhammed: verse (35)
22. Umara Nasir (2009) 1st ed. **Philosophy and Eloquence _ Hajaji Approach to Philosophic Discourse.** Algeria: Al-Ikhtilaf Publications.

# *Rhetoric of persuasion in the discourse of the nucleus Sermon of Imam Ali (peace be upon him) in sffin of a model-*

**Azad Hassan Haider***

**Abstract**

The method of metaphor in its persuasive effect crystallizes the work of the mind in the realization of the sense of the nucleus through a process of mental transition from the idea of the realization of the thing obliged to recognize the necessary to exist. The phrase metonymy is not limited to the production of mental meanings for the purpose of persuasion but accompanied by a moral statement interspersed with artistic pleasure no less effective in acceptance and influence, which is of the nature of the nucleus suggestive method to arouse the senses, mind and imagination, to push the recipient to take the appropriate position as well as the pleasure of sensation resulting from the discovery of knowledge New cognitive is added to its inventory. Persuasion manifests itself in the suggestive images in the speeches of Imam Ali - peace be upon him - especially in the facts of the war, including what happened in two rows, as represented in two forms of metonymy that promote the idea and fighting among the recipients .

**Key words :** Likeness؛ metaphor؛ image

***Assist. Lect./ Department of Arabic Language/ College of Education for Human Sciences/ University of Mosul.**